مشرَّدون .. متسوِّلون

التخطيط: عدد المشردين الأطفال أكثر من خمسين ألفاً

تبرز قضية الاطفال المشردين والمتسولين كظاهرة اجتماعية خطرة نتيجة الظروف القاسية والاستثنائية التي عاشها المجتمع العراقي في ظل نظام دكتاتوري تعسفي اغرق البلا د في مشاكل لا حصر لها مع ممارسته أشكالاً متنوعة من القمع والعنف... فمن حروب لا طائل من ورائها الى حصار اقتصادي خلف وراءه مجتمعا منهارا اقتصاديا.. وبعد سقوط النظام وانتشار المواجهات العسكرية والارهاب وظاهرة التهجير القسري خلقت حالة من تدني المستويات الاخلاقية والتربوية والذي افرز مشاكل اجتماعية عديدة كان منها ظاهرة تشرد الاطفال وبشكل منظم على يد عصابات ومقاولين يديرون هذا السلوك الشائن ويدفعون الاطفال الى مهنة التسول معتمدين على الحاجة الملحة للاطفال وعوائلهم الى المال..

المشكلة كبيرة من حيث الحجم والنوع لا يمكن ان ستعرضها على صفحات قليلة... لكننا نحاول ما استطعنا ان نحدد ابعادها بالتحاور مع بعض المسؤولين في بعض الوزارات المعنية لا كلها.. ليكون الملف محاولة لتسليط الضوء على جزء من ابعاد المشكلة...

اعدت الملف / سها الشبخلي

وزير العمل والشؤون الاجتماعية : دُورنا ليست سجوناً تقيّد حرية المشرَّدين والمتسوِّلين

المهندس محمود الشيخ راضي

تعد وزارة العمل والشؤون الاجتماعية الوزارة المعنية بالدرجة الاولى عن ظاهرة التسول والتشرد الخطرتين الى جانب وزارات اخرى منها وزارة حقوق الانسان، وزارة الداخلية، وزارة الصحة، مجلس محافظة بغداد، الى جانب منظمات المجتمع المدني.. وزارة التربية.. لذا التقينا وزير العمل والشؤون الاجتماعي المهندس محمود الشيخ راضي.. وتوجهنا اليه بالسؤال الآتي:-

أشق المهام

❖ المشردون والمتسولون.. ينتشرون في شوارع بغداد.. بعضهم على كراسي متحركة.. وبعض النسوة يحملن اطفالا.. مشكلين بذلك ظاهرة غير حضارية ومحزنة... لماذا لا تتضافر جهود الوزارات المعنية لتخلصنا من هذه المناظر المؤذية والتي تسيء الى البلد...؟

- انها واحدة من اشق المهام التي تواجهنا.. وهي بالفعل تشكل مشكلة كما ذكرت.... دورنا مشرعة لتقبل مثل هؤلاء في اي مرحلة عمرية.. لدينا دور للذكور واخرى للاناث وهي غير ممتلئة... المشكلة تنحصر في رغبة هذه الشريحة في امتحان التسول.. لدينا دور اصلاح الاحداث واحدة خاصة بالذكور واخرى في الاعظمية خاصة بالاناث.. نحن نغطي احتياجات تلك الدور بشكل كبير.. دورنا ليست بالسجون التي تقيد حرية هؤلاء..

العملية تحتاج الى دراسة موسعة ومستفيضة والى اختصاصيين... في السابق التجربة فشلت فشلا ذريعا في احتواء المتسولين والمشردين لانها لم تكن ببساطة تعتمد الدراسة الواسعة والمجدية...

النائبة سميرة الموسوي رئيسة لجنة رعاية الأسرة:

أعددنا مشاريع لرعاية الأسرة لم يناقشها مجلس النواب حتى الآن !

سميرة الموسوي

صورة مخيفة للنسيج الاجتماعي الجديد لبغداد ترسمها اعداد كبيرة وحاشدة من المشردين.. والمتسولين ويعتبر هؤلاء انهم ضحايا النظام السابق والارهاب وان الحكومة والبرلمان لا يعيران لهم اي اهتمام يذكر..

وتقول سميرة الموسوي عضوة البرلمان العراقي (ان المادة ٣٢ من الدستور العراقي تنص على قيام الدولة بتوفير الحياة الكريمة للاسرة والطفل والمرأة على ان ينظم ذلك بقانون.. للان الدولة لم تقدم الى مجلس النواب حتى الان مشاريع لتلك القوانين بغية مناقشتها والمصادقة عليها) واضافت (لهذا بادرت اللجنة المعنية برعاية الاسرة والمرأة والطفل في مجلس النواب واعدت مسودات عددا من المشاريع والقوانين ومنها مشروع قانون رعاية الاسرة وقد انجز منذ اشهر... الا ان القانون الموحد لم يصدر حتى الان بالرغم من مرور تلك المدة... في الوقت الذي تتصاعد فيه اعداد المشردين وتتراكم فيه معاناتهم الانسانية)

وفي اول اعتراف رسمي عراقي ذكرت وزارة التخطيط والانماء الدولي ان عدد المشردين قد بلغ ٥٠ الف طفل مشرد في الشوارع.. واضافت الاحصائية ان دور الرعاية لا تضم حاليا سوى القليل من المشردين...

وان هناك ٨٠٠ طفل في السجون الامريكية والعراقية ... واعترفت القيادة العسكرية الامريكية ان قواتها تعتقل زهاء ٨٠٠ من الاحداث العراقيين تتراوح اعمارهم من عشرة الى ١٧ عاما.. وقال المسؤول عن السجون التي تديرها القوات الامريكية في العراق (ان جميع الاحداث المعتقلين يشكلون تهديدا مباشرا وخطرا للامن)

أطفال وشوارع وتقارير

الاطفال العراقيون مورد بشري كامن وثروة وطنية لا ينبغي اهمالها ومعالجة قضاياهم بصورة هامشية فهناك الاستغلال الاقتصادي للطفولة وانتشار ظاهرة اطفال الشوارع والذين وصفتهم الامم المتحدة بانهم الذين تركوا اهلهم وسكنوا الشوارع واطفال الملاجئ والاطفال المشردين الذين تكون علاقاتهم باسرهم غير سوية وبالرغم من وجود نصوص دستورية تحمي هؤلاء اضافة الى عدة قوانين ولكن ظاهر الحال ان انتهاكات لحقوقهم متنوعة وشمولية وتقترن بالحزن والاسى والحرمان وتفتقر الى عدم الاهتمام فهي طفولة الدموع وطفولة التشرد... وانعدام الصحة والتربية ووفقا لاحصائية الهلال الاحمر العراقية هناك ٢٠ ألف طفل مشرد في الشوارع وفي ضوء هذه المآسي برزت ظاهرة التشرد والانحراف والرذيلة وانعكست كارثيا على الاطفال وهنا لابد من تفعيل القوانين العراقية ونصوص الدستور لا ان يقتصر دور الجهات الرسمية على الندوات وتقديم البحوث وحضور الاجتماعات والتحدث الى الاعلام عن هذه المأساة... وعن انجازات لا وجود لها على الواقع العملي بل هي فرضيات نظرية ودراسة الوضع النفسي والاجتماعي والاخلاقي لهم..

. والمتسولون والمشردون والمنحرفون من الاطفال يجوبون الشوارع هو الدليل القاطع.. واذا كانت الا تفاقيات الدولية لحقوق الطفل قد شكلت لجان تلزم بموجبها الدول بتقديم التقارير كل ٥ سنوات ونشرها بصورة واسعة في اقليمها مع وضع الاسس لتطبيق الاتفاقية وان هذه التقارير تقدم الى الهيئة الرسمية في المنظمة الدولية ويجب ان تتضمن اصدار تدابير تشريعية وهي الحقوق المدنية كالبيئة العائلية للطفل والتربية والثقافة وتدابير الحماية الخاصة وضحايا النزاعات المسلحة من الاطفال الا ان ذلك لم يحدث قطعا بالنسبة للعراق ولم تقدم اية تقارير ولم تنشر بهذا الشان..

ماكنة المقاولين تنتج أطفال شوارع

وانا اعد هذا الموضوع... كان وجودي صباحا في احد التقاطعات المرورية في اكثر مناطق العاصمة ازدحاما... وقفت سيارة (بيك اب) في احدى جهات ذلك التقاطع ونزل منها عدد من الاطفال تقافزوا.. وهم يتضاحكون ويضرب بعضهم بعضا... بينما نزلت نساء باعمار مختلفة منهن الشابة ومنهن المسنة وقد حملت كل واحدة منهن طفلا يغط في نومه وكانه (مخدر)... وبلمح البصر توزعت تلك الجموع لتستقر على الارصفة ودلف البعض الاخر منهم الى الشوارع الفرعية... اما صاحب سيارة الاجرة فقد اخرج سيكارته وصار ينفث دخانها بتكاسل.. ولوح لشرطي المرور محييا.. كان الجو باردا الى درجة كبيرة.. تقدمت من رجل المرور لاسأله عن هذه الجموع.. من تكون؟ بعد ان شاهدني قد رأيت السائق وهو يرسل تحيته له عن بعد.. وكيف يسمح بهذه الممارسة امام عينه؟! قال ولماذا تحشرين انفك في الموضوع؟؟ وما دخلك انت؟ قلت له انا باحثة اجتماعية واعد دراسة عن ظاهرة التسول.. فهل يستطيع ان يقدم لي معلومات تساعدني في البحث... قال شرطي المرور.. ولماذا التسول؟!! وهناك ظواهر عديدة سلبية.. لماذا لا اتناول مثلا ظاهرة عدم استقرار الكهرباء؟ ظاهرة ارتفاع الاسعار؟؟ ظاهرة البطالة؟؟ وهنا مر من امامنا صاحب السيارة (البيك اب) والقى بتحيته الحارة مرة اخرى... سائلا اياه كيف الحال؟؟ قلت له.. ها انك تعرفه... قال لا اعرفه.. ثم انه أنزل عائلة جاء بها الى هنا... تركت رجل المرور بعد ان وجدته (مراوغا)!!

احد المارة بعد ان استمع الى حديثي مع شرطي المرور اشار الى احد التقاطعات القريبة والتي يقف بها متسولا صبيا لكنه يرتدي ملابس فتاة.. ذهبت الى هناك ووجدته ناديته باسمه فهرب مذعورا!! ذهبت خلفه.. قلت له انني سوف اعطيه مبلغا كبيرا لو حدثني بقصتك واقسمت له انني لن اذكر اسمه او اخبر رجال الشرطة عنه... قال الشرطة هنا يعرفونني!! وعندما سألته لماذا يتنكر بزي الفتيات.. قال ان الرجال دائما يعطفون على الفتاة ويعطونها النقود بسخاء.. اما الفتى فيقولون له اذهب واعمل.. فاين هو العمل اذا كان الرجال لا يجدون عملا فكيف بالاطفال!!؟

لكن ما راي اهل العلم والاختصاص في هذه الظاهرة!؟ يقول الطبيب (م-ح) انها كارثة بحق اطفال العراق.. فضلاً عن كون الظاهرة تشكل مرضا اجتماعيا الا انها تحرم الطفل ايضا من وجوده داخل الاسرة لفترات طويلة ويضيف: السؤال المؤلم هنا هو كيف يمكن ان تساعد هؤلاء الاطفال بعدما رفعت الدولة يدها عنهم...

الباحث الاجتماعي (ص) يرى في هذه الظاهرة المستفحلة قائلا:

- المجتمع العراقي شهد خلال السنوات العشرين الماضية تحولات سريعة وحادة في مختلف مناحي الحياة مع افرازات الحروب والحصار.. ويضيف ان انحطاط المستوى المعيشي لغالبية الا سر العراقية هو جذر المشكلة.. فقد خسرت بعض العوائل الحد الادنى من الاستقرار الاقتصادي لذلك اخرجوا اولادهم من المدارس وزجوا بهم بالتسول.. اما استاذ علم النفس (خ) فيقول: - انها ظاهرة تؤرق الضمير.. لقد اجريت دراسات عن اطفال الشوارع فلاحظت من خلال الدراسة ان اغلبهم متشائم من مستقبله ويتابع.. لقد امتلات شوارعنا بهم.. وعلينا ان نبادر للحد من تفاقم هذه الظاهرة.. وتأثيراتها المدمرة على جيل كامل..

مهنة.... التسول

التسول يعتبره الكثيرون مهنتهم وحرفتهم التي يعيشون عليها ويحصلون من خلالها على المال والطعام والملابس وغيرها.. وفي احدى مناطق بغداد فان المتسولين من الاطفال يطلبون ايضا النفط!!

فمن المعتاد ان ترى المتسول جالسا في الشارع مادا يديه طلبا لصدقة او يمر امامك وانت جالس في المقهى او المتجر او يدق بابك متسولا غير انه في تلك المنطقة من بغداد ينتشر المتسولون خاصة من الاطفال يطلبون شيئا جديدا ليحصلوا عليه... وهو النفط!! فمن الطبيعي ان تشاهد في تلك المنطقة الاطفال ممن لا تزيد اعمارهم على ١٢ سنة وفي ايديهم عبوات بلاستيكية سعة كل منها ٥ لترات يدقون ابواب المنازل طالبين ومتوسلين من اهل المنزل اعطاءهم القليل من النفط

المشرد..... والمتسول

عن المشردين يحدثنا المدير العام لدائرة (الرعاية) التي سميت مؤخرا بدائرة ذوي الاحتياجات الخاصة والذي رفض ذكر اسمه قائلا:-

يعتبر القانون كل من يتسول او يبع السكائر في الطرقات او يصبغ الاحذية مشردا... اما التسول فانها ظاهرة موجودة في معظم مجتمعات العالم كونها وسيلة سهلة للحصول على المال من خلال كسب عواطف ومشاعر الاخرين وبوسائل مختلفة منها جعل المظهر الخارجي للمتسول معوقاً مثال ذلك رجل يجلس على كرسي متحرك خاص بالمعوقين وهو غير معوق.. او امراة تحمل طفلها الصغير لكسب عطف الاخرين لغرض مساعدتها من الاخرين على اسال انها ضعيفة الحال والعديد من الحالات الاخرى. ولقد سبق لدائرتنا ان جمعت عدداً من المسنين الذين يتسولون في الشوارع وتم ايداعهم في دار المسنين لتقديم الخدمات الصحية والاجتماعية كاملة لهم، الا انهم سرعان ما يتركون الدار ويعودون الى مهنة التسول باعتبارها تدر مالا جيدا من خلال كسب عواطف الاخرين كما اسلفنا... مع العلم ان المشردين لا يتم ايداعهم لدى دائرة اصلاح الاحداث الا بقرار قضائي، وهذا يعود الى اجهزة الشرطة.. كنت في مؤتمر خاص بالشؤون الاجتماعية في بلد عربي.. روى لي احد المعنيين في الشؤون الاجتماعية بان طالبا في الدراسات العليا (الماجستير) اراد ان يقدم دراسة كاملة عن التسول وعند اختلاطه ومعايشته لهذا العالم الغريب ترك الدراسة واصبح متسولا لانه وجدها (شغلة) مربحة!! ويواصل المدير العام حديثه قائلا:- - المخصصات مفتوحة لدور الرعاية لخدمة هذه الشريحة في كل الجوانب سواء كانت للمأكل او الملبس وحتى الدراسة حيث ان جميع الموجودين في الدور الايوائية من الذكور والاناث يواصلون التعليم في مدارس التربية.. وان الدور الايوائية في بغداد والمحافظات ليست بكامل طاقتها الاستيعابية والسبب هو عدم تقبل المشردين والمتسولين للعيش في تلك الدور وخاصة الذين وجدوا من التسول مهنة خاصة بهم يستطيعون ان يحصلوا فيها على مبالغ مجزية.

وجوه كالحة.. ثياب رثة واعمار ضائعة

اطفال من كلا الجنسين.. بعمر الزهور لكن وجوههم كالحة.. وثيابهم رثة.. يقضون اوقاتهم في الشوارع عند تقاطعات الطرق واشارات المرور.. غير عابئين بالسيارات.. يبيعون السكائر والمناديل الورقية، فرش السيارات، يلحون على المارة والسيارات ويستعطفونهم بلهجة اقرب الى الشحاذة منها الى البيع، يتكاثرون يوما بعد يوم حتى اصبحت الشوارع بدلا من المدارس والعائلات وهي التي تربيهم..

الطفل (ح-ع) عمره تسع سنوات يقول ضاحكا:

❖ والدي يجبرني انا واخواتي الخمسة على بيع السكائر واحيانا يجبرنا على التسول.. اما (م) البالغ من العمر ٨ سنوات فيقول: والدي تم اختطافه ووالدتي مريضة وخالي لا يصرف علينا.. طفل اخر عمره ١٠ سنوات يقول: ان زوج امه يضربه اذا لم يأت له بالنقود.. ويكمل احمد فصول المأساة قائلا: (لقد نسينا اللعب واصبح همنا الحصول على المال من اجل العيش فانا احصل على ٨ الاف دينار يوميا اذهب بها الى البيت ولكن بعد ان تكل ساقاي من كثرة التنقل من مكان الى اخر.. ولا وقت مزاج لدي للعب او الدراسة كبقية اقراني...

اما الطفلة (س) ذات الاحد عشر ربيعا فقالت (والدتي مريضة وهي بحاجة الى نقود لشراء الدواء.. وابي يعمل يوما ويتعطل عشرة ايام... وانا احصل على ٦ الاف دينار يوميا تزداد ايام الجمع والاعياد..)وللتسول ضحايا كثيرون فالطفل (ب) وعمره ٨ سنوات راح ضحية احدى السيارات المفخخة عند اشارة المرور عندما كان يتسول بينما فقد احد الصبية المتسولين ساقه عندما دعسته سيارة مسرعة وهو يقفز وسط الشارع ليلاحق بعض المارة واصحاب السيارات.. سائقو السيارات لهم وجهة نظر في ظاهرة التسول حيث يقول احدهم (الاهالي يلقون بابنائهم الى عمل شاق لا يتناسب مع اعمارهم البريئة والمسؤولون يرون ويراقبون. ولا يحركون ساكنا....)